

علاقة الرأسمالية الرقمية بسلعنة الذوات وهوس التسويق للرمزيات الفردية داخل الفضاءات الافتراضية –
دراسة نقدية على ضوء نظرية التشيؤ لهربرت ماركيز

**The Relationship Between Digital Capitalism and the Commodification of Self, the
Obsession with Marketing Individual Symbolisms within Virtual Spaces: A Critical
Study in Light of Herbert Marcuse's Theory of One-Dimensional Man**

صابر لامية¹

¹ جامعة سطيف 2 (الجزائر)، الإيميل المني للباحث الأول: l.saber@univ-setif2.dz

تاريخ الاستلام: 2025/05/21 تاريخ القبول: 2025/07/14 تاريخ النشر: 2025/09/01

ملخص:

تقدم هذه الورقة العلمية تفسيراً نقدياً للوضع العام داخل الأنساق الافتراضية بتوظيف نظرية التشيؤ لهربرت ماركيز، أين تزايدت سطوة الرأسمالية الرقمية وغيّرت من أساليب الحصول على المال لتحول من المستخدم الافتراضي إلى مهووس في خلق إنتاجات ومضامين جديدة تزيد من شعبيته الافتراضية وتزيد من مدخوله المالي، ومع التزايد المستمر في نوعية التكنولوجيات الموظفة وحجم الفضاءات والتطبيقات الذي يتزايد عددها يوماً بعد يوم وتؤسس تقنياتها على زيادة حجم عرض الذات، ازداد معها حجم تسلع الإنسان والمنافسة بين المستخدمين في نوع التسلع وابتدال المشهد الاتصالي الافتراضي. وفي زخم هذا المنافسة يحاول كل مستخدم أن يخلق لنفسه رمزيات وسلوكيات وأفكار تميزه أكثر وإثباتاً على رمزياته الفردية يحاول كل منتج داخل الفضاء الافتراضي لأن يخلق لنفسه علامات تجارية خاصة به إذ يعتبر حجم التسلع الإنساني لزيادة عدد المتابعين والمشاهدين على تطبيقات التواصل الاجتماعي هو محاولة لترسيخ العلامة الشخصية التجارية من ممارسات وأدوات وطقوس. كلمات مفتاحية: الرأسمالية الرقمية- سلعنة الذوات- الفضاءات الافتراضية- نظرية التشيؤ

Abstract:

This paper offers a critical interpretation of the prevailing conditions within virtual systems by employing Herbert Marcuse's theory of reification. It examines how the growing dominance of digital capitalism has transformed the means of acquiring wealth, shifting the virtual user into an obsessive creator of new content and products aimed at increasing their virtual popularity and financial gain.

As the types of technologies employed and the quantity of platforms and applications continue to proliferate at an unprecedented rate, underpinned by technologies that encourage excessive self-display, the commodification of individuals and competition among users have intensified, leading to a vulgarization of the virtual communicative landscape.

In this highly competitive environment, each user strives to cultivate unique symbols, behaviors, and ideas to differentiate themselves and affirm their individuality. Similarly, every producer within the virtual space seeks to establish their own brand, as the commodification of individuals through the pursuit of a larger following on social media platforms is viewed as an attempt to solidify a personal commercial brand through practices, performances, and rituals.

Keywords: Digital capitalism, Commodification of the self, Virtual spaces, Reification theory.

*المؤلف المرسل: لامية صابر

1. مقدمة

يعتبر موضوع إفرازات تكنولوجيات الميديا الرقمية و الفضاءات الافتراضية وتأثيراته من أهم المواضيع التي تشغل بحوث العلوم الإنسانية والفلسفة في هذه الفترة ، خاصة وأن النمطية المتعارف عليها في بناء الاجتماع الإنساني ونشاطاته قد انكسرت مع التطور المتسارع في استحداث تكنولوجيا الإنترنت أنواع الخدمات، التطبيقات الشبكات و أدوات التفاعلية، والتي توسعت في خدماتها من مجرد وسائل اتصالية إلى وسائل تمارس عبرها كل أشكال المبادلات الاقتصادية والثقافية والأنشطة الترويجية والاستعراضية ، الممارسات الاجتماعية البديلة للواقع المادي والمكملة له، وحتى الأنشطة الدعائية وعمليات التعبئة وتزايد معها حجم الإنتاج الفردي للمحتوى مع سطوة الرأسمالية داخل الفضاءات الافتراضية وتقديم تقنيات وطرق جديدة للحصول على المال من هذه الشبكات.

و فتحت بذلك الآفاق لظهور أشكال عديدة من المجتمعات الافتراضية وصناعات المحتوى الرقمي داخلها وهي مفاهيم تدل على التغيير الفعلي لأنماط الاتصال التقليدي، ومع زيادة حجم الاستخدام والذي يصل على حسب شبكة الإحصائيات العالمية للإنترنت إلى ما يفوق 5ملايير و 520 مليون مستخدم مستخدم عبر العالم (soax, 2024) ، ازداد معها حجم الاعتماد على الإنترنت كمصدر للمعلومات وللحصول على المال بإنتاج المحتوى مهما كانت قيمته ، لتفتح بها بابا بحثيا واسعا وهو انعكاسات الرأسمالية الرقمية وتغير منافذ الحصول على الثروة على أشكال الإنتاج الثقافي الإنساني داخل الفضاءات الرقمية .

ونحاول في هذا الطرح أن نقدم تحليلا نقديا للوضع الاتصالي بكل دلالاته داخل الفضاءات الافتراضية ويعتبر هذا المجال -الأنساق الرقمية- التي أنتجت وأعدت إنتاج عديد الظواهر ، والمتلاصقة أو المرتبطة ببعضها البعض خاصة مع سطوة الرأسمالية الرقمية وتغير معايير الحصول على المال من الإنتاج الاتصالي بمقابل ذلك انطلقت ملايين المحتويات الرقمية والتي زاد فيها عرض المستخدم لنفسه بكل الأشكال وفي كل حقول الاهتمام العامة أو التي خلقها بسبب معيار التنافسية بين المنتجين أو ما يسميهم مجال الإعلام بصناع المحتوى، وتتناول هذه الدراسة باعتماد فرضيات نظرية التشيؤ لهربرت ماركيزوز النقدية في تفسير ظاهرة سلعة الإنسان لنفسه داخل هذه الفضاءات مع

تضخم والزيادة الهائلة في عدد العارضين وفي آليات العرض الذاتي لهذا يتحول الفضاء الافتراض إلى عالم للتميز والاستفراد كل برمزياته المختلفة كمحاولة لاقتناص الدور داخل النسق الواسع ويحاول هذا البحث الإجابة عن الإشكال الآتي: ماهي الرأسمالية الرقمية وكيف ساهمت بخلق طفرات وظواهر جديدة لعرض الذات داخل الفضاء الافتراضي؟

2. تجليات الرأسمالية الرقمية في الفلسفة العامة للنظام الدولي.

على مر عقود من الزمن ، ارتقت دعوات الرأسمالية الإنتاجية نحو الانزياح من تقدير الإنتاج المادي (سلع) إلى الإنتاج الخدمي (خدمات) على نحو انسيابي، عن طريق آليات الدعاية والإعلان المنوطة بوسائل الاتصال الجماهيرية وقتها، ولم يبق الأمر على هذا النحو ، فتسارع تطوير المستحدثات التكنولوجية المعلوماتية الإنترنت، قدم دفعا جديداً للدعوة بإلحاح نحو خوض تجربة الرفاهية بالرقميات، التغيير في أنواع الإنتاج و أنماط العمل، يقول عن ذلك فؤاد مرسي " .. مع فك الصناعة تعاد هيكله قوة العمل، ويحل التكنولوجيون محل العمال اليدويين، بل محل كثير من العمال أصحاب الياقات الزرقاء أو البيضاء (مرسي، 1990، صفحة 59)

ومن المعروف أن الانسياب الفكري للفلسفة الرأسمالية تموّهت في عدة أوجه على مر التاريخ الحديث فلقرون من الزمن استحوذت الرأسمالية على أنظمة الحكم السياسية في كثير من الدول الاستعمارية والتي سرعان من بدأت البحث عن مصادر للثروة ، الطاقة و السلطة، فتحت بها صراعات إنسانية شملها مفهوم الكولونيالية ، ومع استنزاف البشرية بالحروب والصراعات وجهت أصابع الاتهام من كل التيارات الفكرية في العالم نحو أنظمة الحكم السياسية في أوروبا وأمريكا لما بعد الحرب العالمية والحرب الباردة، أين تشوهت الأوجه المستبدة والاستحواذية للرجل الغربي السياسي الرأسمالي ولهذا كانت الفلسفة الرأسمالية تنموه داخل الأنساق التي تتاح لها وتتمكن فيه من توسيع دائرة فكرة التمييز بين النظام السياسي والنظام الاقتصادي.

يؤسس "مايكل هارديت" و"أنطونيو نيغري" للمفهوم المعاصر للرأسمالية الحالية في كتاب "الإمبراطورية" بقوله : "إن عولمة الإنتاج والتبادل الرأسماليين تعني أن العلاقات الاقتصادية أصبحت أكثر تمتعاً بالاستقلال عن أشكال التحكم السياسي، مما أدى إلى تدهور السيادة السياسية. ويهلل البعض لهذه الحقبة الجديدة بوصفها حقبة تحرر الاقتصاد الرأسمالي من جملة القيود والتشوهات التي فرضتها القوى السياسية عليها " لقد منحت للشعوب في - حقبة الاستقلاليات السياسية المتوالية أو ما يسمى بحقبة التحرر- نوعاً من الحرية في وضع حد للكولونيالية والامبريالية والرأسمالية المرتبطة بالأنظمة السياسية والعسكرية، دون شك أن سيادة الدول القومية على بقائها ذات نفوذ تعرضت للتدهور التدريجي.

لقد استغلت الرأسمالية الجديدة فكرة "حب الشعوب للنضال" فأعطتها ما تريده بطريقة تشبه إطلاق سراح المسجون بشرط أن يبقى مكبل اليدين، أتيحت للشعوب الانتعاش بسعادة النهضة ضد الاستعمار وهي الفكرة التي استغلتها الرأسمالية للتملص من الأنظمة السياسية.

يضيف "هاردت" و"نيغري" في ذات السياق: "نشأت بذلك فكرة الإمبراطورية الجديدة، فهي تعكف على بناء علاقات القوة الخاصة بها القائمة على الاستغلال أيضا - التي قد تكون أقسى وأكثر وحشية - من تلك التي دمرتها من نواح عديدة. لم يتمخض انتهاء ديكالكتيك الحداثة عن انتهاء ديكالكتيك الاستغلال، فالبشرية كلها تقرب باتت اليوم مُقَحَّمة في شبكات الاستغلال الرأسمالي أو خاضعة لها، إلى هذه الدرجة أو تلك. نجد أنفسنا أمام فصل متزايد من التطرف، وبصورة مطردة ولأقلية صغيرة متحكممة بثروات هائلة عن جماهير عريضة تعيش حالات من الفقر والعجز، الرأسمالية المعاصرة تزيد حدة غطرستها من الرأسمالية الكولونيالية. (نيغري، 2002، صفحة 12)

يستهل "نعوم تشومسكي" كتابه "من يحكم العالم" بفكرة ليست بعيدة عن الطرح الأول، أن الهيمنة الحقيقية ليست متمركزة في نظام ولا حتى في دولة هناك "هيمنة للنخب الاقتصادية" والتي تتحكم حتى في نتائج الرئاسيات في الولايات المتحدة مثلا بالدعم الانتخابي أو المعارضة، أن فكرة الديمقراطية الأمريكية التي تتغنى بأحقية الشعب في اختيار قادة الحكم ما هي إلا شعارات على وسائل الإعلام، يقول تشومسكي عن ذلك: "الغالبية العظمى من أبناء الشعب، القابعة عند الدرجة الدنيا من سلم الثروة، مستبعدة كليا عن النظام السياسي. (تشومسكي، 2017، صفحة 08)

موضوع الرأسمالية أخذ حيزا كبيرا من الاجتهادات الفكرية الفلسفية والاجتماعية منذ فترة ليس ببعيدة ولكن المغزى من هذا الطرح، هو حقيقة مفهوم الرأسمالية الذي اختلف النظر فيه بسبب كرونولوجيا التطور التقني. الأداة التي تحدث عنها "ماركس" لم تبقى مجرد قاطرة تسير بالفحم، أو آلة حياكة تقبع عليها المرأة العاملة طوال اليوم، لقد تحولت كل أشكال الفعل الرأسمالي نحو مخرجات، بينات، وتكنولوجيا جديدة، أو لنقل أنها بدأت كما يصفها دان بارني في كتابه "المجتمع الشبكي" في قوله: "يذكر أن العالم، يشهد حالة من التحول أو الاضطرابات الجذرية الشبيهة نوعا ما بتلك التي شهدناها عند التحول من (المجتمع الزراعي إلى المجتمع الصناعي) في القرن التاسع عشر، المورد الأساسي للمجتمع الجديد هو المعرفة والمعلومات، أن القوة الديناميكية الأساسية في هذه الثورة أو في هذا المجتمع هي "تطوير التقانة" ونشرها. (صابر، 2024، صفحة 58)

لطالما سيطرت شركات التكنولوجيا على حياتنا، متبينة فكرة أن التكنولوجيا هي رفاهية لا يمكن الاستغناء عنها. إلا أن "هربرت شيللر" يكشف في كتابه "المتلعبون بالعقول" عن الوجه المظلم لهذه التكنولوجيا. فهو يشير إلى أن سرعة المتابعة الإعلامية التي توفرها التقنيات الحديثة ليست سوى أداة للتضليل. فبدلاً من تعزيز الفهم، تستخدم هذه السرعة لتشويه الحقائق وإخفاء المعنى الحقيقي وراء كم هائل من المعلومات.

لقد غيّرت من حقول وميادين الإنتاج البشري ووجهت ذهنية الأفراد من فطرة امتلاك المال كثروة نحو امتلاك الخدمات، وفي لحظة فارقة أخرى كانت الإنترنت قوة جديدة استندت إليها الرأسمالية المعاصرة، واستحدثت وجها جديدا للملكية الفردانية والمؤسسية وخلقت بدل المؤسسة الإنتاجية نوعا مهيمنًا من المؤسسات وهي المؤسسات التكنولوجية.

يأخذنا المنحى الفكري هذا إلى كتاب "جدل التنوير لـ"هوركايمر وأدورنو" بالقول: هذه الوضعية ليست نتيجة قانون يخضع له التطور التكنولوجي، بل مَرَدُّها إلى وظيفة التكنولوجيا في الاقتصاد الحالي، إن العقلانية التقنية حاليا هي

عقلانية السيطرة ذاتها فالميدان الذي تتمتع فيه التقنية بسلطة كبيرة على المجتمع، هو ميدان أولئك الذين يسيطرون عليها اقتصادياً، إن العقلانية التقنية هي الخاصية القسرية للمجتمع المغترب عن ذاته، أي سقوطها في السلطنة، ذلك أن تحويل الفعل الثقافي إلى قيمة تبادلية يقضي على قوته النقدية؛ ويحرمه من أن يكون أثراً لتجربة أصيلة. (ماتلار، 2005، صفحة 90)

وفي ذات الرواق الفكري طرح "روجر ماكنامي" في مقال على صحيفة Project-Syndicate حقيقة سيطرة الشركات التكنولوجية على الوضع العام في قوله: "الواقع أن كل شركات المنصات الرائدة مدفوعة بأهداف واضحة. وبعضها صريح، كما هي الحال مع مهمة جوجل Google المتمثلة في "تنظيم معلومات العالم"، ورغبة فيسبوك في تجميع العالم في شبكة واحدة. ويمكن استنباط دوافع شركات أخرى من سلوكها، فمن الواضح أن شركة أمازون تريد أن تكون العمود الفقري للاقتصاد، في حين تريد ميكروسوفت أن تكون شريك التكنولوجيا الأساسي للشركات والحكومات. وفي كل من هذه الحالات، يتلخص الهدف غير المعلن في السيطرة وانطلاقاً من عدم رضاها بالفوائد المترتبة على رأسمالية المراقبة، التي أصبحت مقيدة اليوم بحجم سوق الإعلان، تتحرك شركات المنصات بقوة وبأسلوب لا يخلو من التحدي. (Mcnamee, 2019, p. 03)

3. مفهوم التشيؤ لدى مفكري فلسفة فرانكفورت

وفي سياق الاستلاب أقول: استطاعت النخبة النقدية في وقت سابق لأن تصنع farkاً في تاريخ البحث الاجتماعي و الفلسفي، فقد فسّرت على نحو معمق علاقة الذات الإنسانية بالأداة التكنولوجية، كمحاولة لتوجيه أصابع الاتهام للرأسمالية الإنتاجية في دفع الذات البشرية نحو الشيئية، طرّح مفهوم التشيؤ لأول مرة من طرف كارل ماركس في كتابه "كابيتال: نقد الاقتصاد السياسي" سنة 1867، يقول عن ذلك حسن الكحلاني: "...وكانت في معظمها تعبيراً صارخاً عن أزمة الإنسان في المجتمع الرأسمالي، حيث فقد الإنسان إحساسه بالمستقبل وشعر بالضيق وعانى من أنواع شتى من أنواع الاغتراب مثل: اغترابه أمام منتجاته التي صارت تشكل تهديداً لحياته بعد أن أنتجها، واغترابه وسط الآخرين حين رأى أن المجتمع لا يعبر اهتماماً للفرد، فهو آلة تعمل ضمن ملايين الآلات البشرية". (الكحلاني، 2004، صفحة 9)

في نشوء النظرية النقدية الاجتماعية، نقد كارل ماركس الاستغلال و صنمية البضاعة التي حوّلت الإنسان إلى كائن مغترب عن نوعه الإنساني من جهة، والتي بذلك خلقت فكرة (التشيؤ - الشيئية) أي تحول جهده العضلي والفكري في الإنتاج والعمل إلى مجرد سلعة قابلة للاستخدام أو الاستهلاك، دون مراعاة نوع العمل والوقت المستغرق في انجازه، ما يهم الرأسمالي هو الإنتاج السلعي فالأهداف هنا حسب ماركس تتباين بين عامل مسلوب الإرادة هدفه إنهاء العمل وإنتاج السلعة وفق شروط العمل والرأسمالي يهيم القيمة المادية المقابلة من بيع السلعة. (Marx, 1996, p. 32)

ماركيوز لم يعقب كثيراً على "القيمة المادية والاجتماعية للسلعة" كما وقف عليها ماركس بشكل كبير، بل تجاوزها ماركيوز لأن منحى تطوّر وسائل الإنتاج أخذ يتزايد بشكل متسارع - لم تعطي السلع فرصاً للتَمَعّن فيها- مع ظهور قوة المنافسة والتطوير في نوع وكَم السلع المنتجة، و مع ظهور الكماليات المبتذلة في عمليات الإنتاج تحت مسمى أدوات الاستخدام الراقية، بغية استقطاب أكبر عدد ممكن من المستهلكين، كان الابتذال في الإنتاج كتوفير عدة علامات تجارية من مساحيق الغسيل مثلاً، في حين كان إنتاج نوع واحد يفي بالحاجة، أذواق وأحجام وألوان مختلفة للسلعة تجعل الإنسان يتناسى الاستعمال من كثرة الاختيارات التي تفقد فكرة الضرورة والهدف من إنتاجها لتعطي بديلاً للأمر وهو تشيؤ المنتج والهدف من وجوده

يعتقد ماركيوز أن المجتمعات الرأسمالية لم تقم بتزييف الحاجات الاستهلاكية والاستعمالية المادية فقط، بل هناك تزييف للحاجات الفكرية أيضاً، هناك عملية إحاطة للوعي الفردي برفع قيمة العقلانية التكنولوجية بمقابل محاولة ازدياد العقلانية الإنسانية عن طريق توظيف وسائل الإعلام الجماهيرية وتكمن استبدادية الحضارة الصناعية الرأسمالية في تمييع الحركات الاجتماعية المعارضة وتعليب المجتمع ككل بتوظيف السياسة والإعلام، ولأن ثقافة التكنولوجيا توسعت بشكل رهيب في كل مناحي حياة الفرد، فهي أصبحت تحطيه من كل الجوانب بنوع من ثقافة التسليع للثقافة عموماً. (Marcuse, 2002, p. 88)

إن المرحلة التاريخية المفصلية التي عاشها ماركيوز بطغيان الرأسمالية الإنتاجية في المجتمعات التي لم تتضرر هيكلها بالحرب العالمية الثانية مثل: الولايات المتحدة الأمريكية، عمقت من قُوّة التقدم الصناعي والتقني في الحياة الوظيفية اليومية للفرد، هذا التقدم التكنولوجي الذي تحظى به المجتمعات المتقدمة مادياً، يحمل في طياته فكرة الرفاهية الاستخدامية، بتوفير المتاح من السلع والأدوات والتقنيات، الجذب التقني من جهة أيضاً هو حالة مغرية تماماً، فحقيقة تواجد الإنسان على الأرض يكتنفه جانب مُوسّع من محاولات التَكْيُف، إن خطاب العقل الباطني للفرد في هذه المجتمعات بمقابل الرفاهية والفردانية هناك متسع كبير من الاستلاب والقبول.

الطرح المُفصّل لظاهرة التشيؤ والاستلاب في كتاب ماركيوز "الإنسان ذو البعد الواحد One- Dimensional Man" الذي أصدره سنة 1964، عمّق فيه حول آثار التشيؤ للرأسمالية على الإنسان من خلال: تشيؤ الجسد والعلاقات الإنسانية- تشيؤ اللغة - تشيؤ العقل- تشيؤ القِيَم الإنسانية. (البودور والريماوي، 2021، صفحة 85) يذكر تقرير عن مركز البحوث والدراسات مفهوماً تقييمياً للهوية الافتراضية فيقول: أنها مُؤسّسة على حرية الإبحار في قارة زرقاء "الفيسبوك" على سبيل المثال فقط، فهذا يعني أنها هوية مشتتة داخل فضاء مرقم لا يعترف إلا بالتعدد والاختلاف والتشتت، ويعترف فقط بالتشبيك وربط الناس فيما بينهم من أجل المتعة والتواصل، وأشياء أخرى خارج الحدود الجغرافية، الثقافية والقِيَمية، وهو ما يجعل الهوية الافتراضية تعادي الوحدة والثبات التي تتسم بها الهوية الثقافية والفكرية للإنسان. (عمرو، 2022، صفحة 56)

1.3 مظاهر التشيؤ في البيئات الرقمية

تقدم فلسفة بناء العوالم البديلة مثل "ديسنترالاند" أسمى مفهوم للهجرة الرقمية نحو الافتراضي، في دهاليز هذه الفلسفة المادية "المتناقضة" تحدث عمليات إزاحة الوعي بقيمة "المكانية المادية" بمقابل محاولات من رفع قيمة "الحيز الافتراضي" لدى المستخدم، هو بمثابة فلسفة تلاعبية إن لم نقل عنها هي عملية لتأليب الوعي نحو فرط الترفيه ومستقبلاً نحو فرط الانتماء.

الأمر كله مخيف حين تتصور قوة "الفردانية" التي تؤسس لها الشركات التكنولوجية من بناءها للعوالم الافتراضية، ممارسة الفردانية داخل نسق كبير افتراضي يجعل الانتماء الجمعي ضئيل مع استمرار حالات الهجرة نحو الرقميات، والولوج لعالم مؤسس على قوة اللا-إنتاج يفقد القيمة حتى للعمل المادي مع مرور الوقت وهذا ما نلاحظه في ظاهرة المؤثرين **Influencers**.

تَوَجُّه الفلسفة البراغمية المعاصرة نحو الرفع من قيمة "الفَرْدَانِيَّة" هو أسلوب مقصود جداً في التوجيه العام "الفردانية" المعززة بأدوات الواقع الافتراضي والبيئات الرقمية لا تنفك من كونها صفة لصيقة بالاستخدام الرقمي بل هي ظاهرة تستدعي نوعاً من التَّبَصُّر والكشف، والوعي الفردي أحياناً لا يكفي لمحاربة أشكال الاغتراب الإنساني أمام الآلة (ماركس) تلك حقبة تاريخية كانت لها عواملها النفسية والفكرية سواءً من جانب القوة العاملة أو النُخب. ما يحدثه التفتيت التكنولوجي للإشباع الإنسانية، يقود البشرية نحو الفردانية المطلقة.

في ظل هذا يبقى الإنسان في الفضاء الافتراضي يتماهى مع العالم الرقمي منه وكأنه مكون رقمي أو شيء رقمي وجزء، حتى يصبح جزء من الجهاز الرقمي، وتكون نتيجة هذا الفصل هي الاغتراب والتشيؤ، حيث يصبح العمل والخيال ميداناً للأجهزة الرقمية، ويتوقف نشاط الشخص فقط الاستخدام. ويبقى الإبداع الوحيد في عملية إبحاره داخل النسق هي "كلمة السر" هذه هي الخصوصية الوحيدة للإنسان في الفضاء الرقمي التي ولدت من بنات خياله وأفكاره وهي الشيء الوحيد الذي يختاره بإرادته. (البودور والريماوي، 2021، صفحة 86)

2.3 تشيؤ اللغات الإنسانية في محركات البحث

محددات القولية قد يفقدها بريقها التواصلية، وفكرة وضع قالب لغوي محدد للخطاب الإعلامي، الصحفي والسياسي وبناء المضمون الإعلامي الموجه لشرائح محددة، يجعل اللغة نمطاً متوقعاً لا شغف من الاستماع إليه، لأنه مسبقاً مُرَسَّخٌ في قالب جاهز في ذاكرة المستمع، لقد هاجم "ماركيوز" في موضوع قولية اللغة على نحو واحد في موضوع الاستلاب للإنسان داخل نسقه الاجتماعي العام، هناك حالة رهيبية من تقويض اللغة من حالتها الإبداعية، الحقيقة ببساطتها أن اللغة تميل إلى التعبير عن الذات وتعزيز التعرف الفوري على العقل والواقع معاً.

ولأننا ولجنا في قطاع الأرباح السوق اللغوي العالمي الأول الذي يعمل في الوقت الحقيقي ومتعدد اللغات ونتيجة لذلك، فإن تقلب سعر الكلمات الرئيسية يعكس حركات بالحالة المعقدة للأزمة المالية تحقق جوجل الكثير من المال من بعض الكلمات الرئيسية المنافسة للغاية مثل: الزهور-الفنادق-الإجازة- الحب، كما تنظم مزايدات لشراء أسماء

أشخاص مشهورين: بيكاسو- فرويد وهي كلمات تتعرف للمزايدة على نحو دائم اللغة العالمية غير المباشرة، وقيمة بعض الكلمات الرئيسية: شاطئ-تزلج- ملابس سباحة، تتغير بشكل موسمي وتخضع للزيادة والنقصان. (Graham, 2017, p. 06)

هناك عملية حذف الإبداعية من اللغة والابتكارية لتحل مكانها ميزة التشغيلية، تحقق بها اللغة وظائف محددة مسبقا جعل المفهوم مرادفًا لمجموعة العمليات المقابلة، تتكرر في الاتجاه الوظيفي الذي يتم توظيفها فيه يجعل منها لغة تكنولوجية أكثر منها لغة إنسانية. (Marcuse, 2002, p. 90)

3.3 تشيؤ الذوات والهويات الفردية

من الممكن أن يتم تعريف المجتمع الافتراضي على أنه: جماعة من البشر تربطهم اهتمامات مشتركة، ولا تربطهم بالضرورة حدود جغرافية، أو أواصر عرقية أو قبلية أو سياسية أو دينية، يتفاعلون عبر وسائل الاتصال ومواقع التواصل الاجتماعي الحديثة ويطورون فيما بينهم شروط الانتساب إلى الجماعة، وقواعد الدخول والخروج، وآليات التعامل والقواعد والأخلاقيات التي ينبغي مراعاتها. (فرح، 2014، صفحة 35)

من أهم سمات المجتمع الافتراضي، الانتهاء بالعزلة والانفراد على الرغم من الوعود الدائمة بالانفتاح على العالم، وتواصل الأفراد بمن حولهم بسهولة ويسر ومن العجيب، كما أن هذه المجتمعات كانت قد أنشئت لأغراض شتى منها تخليص الناس من عزلتهم وإن كان الإنسان في اتصال دائم بالناس من حوله فلماذا لا يلتقي بصديقه الذي يتواصل معه على الفيسبوك من خلال اللقاء، والنتيجة من تطور المجتمع الافتراضي الوصول إلى الانقطاع الجزئي عن العالم الواقعي بالتدرج إلى أن يصل إلى حد الانفصال التام، كما هو حال الكثير وليس البعض.

إن من بين السمات للمجتمع الافتراضي: تفكيك الهوية الاجتماعية والدينية والوطنية، ولكن كذلك تفكيك الهوية الشخصية، فمن الممكن أن ينشئ الفرد حسابا لامرأة والعكس صحيح أو بأسماء مستعارة أو أكثر من حساب لنفس الشخص، ولكن في كل مجتمع من التي ينتسب إليها له شخصية مختلفة. (فرح، 2014، صفحة 35)

يقدم أكسل هونيت في كتابه "الصراع من أجل الاعتراف" مقدمة في قوله أن مشاعر القهر والدونية المترتبة عن الرأسمالية قد جعلت الفرد ينحدر نحو اللامعنى، وهذه التشوهات النفسي طبعاً قد تقف بمثابة العائق لهاته الذوات عن تحقيق كيائها وبناء هويتهم بصورة إيجابية. وأعطى هونيت في مستوياته الطبقية في البحث أن أهم مخلفات النظام الرأسمالي على مستوى العلاقات بين الأفراد قد نخرت المجتمعات الأحادية، فقد دفعت إلى انتشار قيم العقلنة والتوحد و مدى هيمنتها على الحياة العامة للأفراد، يؤدي الأمر آليا إلى التفكير في ذواتهم على أساس أنهم سلع وليسوا ذوات حاملة للوعي الذاتي والاجتماعي. ولعل هذا المنطق الفاضح للرأسمالية هو الذي يؤدي إلى انتشار "بائولوجيا التشيؤ والاستلاب" الذي يؤدي بدوره إلى اللامبالاة واللامعنى. (هونيت، 2015)

لقد طرحت عدة مقالات ودراسات علمية - وبشكل مؤسف - مصطلحات تزيد من الغوص داخل الافتراضي بشكل تام مثل مصطلح "الجسد المتشعب" وهو مصطلح يعكس الإيديولوجية الإستيلابية التي تسير عليها كيانات الإنترنت،

فهي بشكل ما، تقترح على الإنسان المنغمس داخل النسق الرقمي كل الإتاحات الممكنة، تجعله قائدا يختار ما يشاء من التغييرات والمفضلات والإضافات، ولكن مع الزخم المعلوماتي تأخذ منه وقته وإنتاجه الحقيقي، تقاسمه تلك المتاهة ذوات بالمللين تائهة مثله وتفرغه من الهوية والانفرادية الذاتية الفكرية والثقافية و الهويةانية التي تميزنا عن بعضنا البعض في الفطرة السليمة، إن الهجرة نحو الرقمية تجعل هوياتنا منصهرة في أي نسق رقمي نلج إليه. (صابر، 2024، صفحة 51)

و من مظاهر تشيؤ الهويات في الأنساق الافتراضية أيضا يشكل عدم ثبات الهوية الافتراضية في صورتها الكاملة والنهائية فخاً نفسياً للمستخدم، فهو يزيد في كل مرة من حضوره وإنتاجه الرقمي من أجل ترسيخ حسابه في أذهان المستخدمين الآخرين وكمحاوله يائسة لتقديم النسخة النهائية عن نفسه، الموضوع أشبه بمحاولات المؤسسات الصناعية لترسيخ علامتها التجارية للمنتوج عن طريق التكرار الإعلاني على وسائل الاتصال الجماهيرية.

بلغة الكم - في دراسات قياس الجمهور- ساعات طويلة يقضيها الأفراد على شبكة الإنترنت وتسابق كبير للبحث عن فكرة الحضور الرقمي بحثا عن الشهرة والمال والمعجبين، يقف الفرد أمام شاشات الهواتف الذكية والألواح الرقمية يتشدد المال والحب والهوية، ويقدر على نحو نقدي هذا الجهد الضائع بمفهوم الاستلاب الإنساني أو الاغتراب. من الإسنادات العملية لمفهوم تشيؤ الذوات داخل فضاءات تطبيقات الإنترنت هو "عملية إنتاج المضمون الرقمي" ،لقد أصبحت هاجساً كبيراً للملايين الأفراد عبر المعمورة، عمليات تحويل الأفكار جادة كانت أو بسيطة، هادفة كانت أو تافهة، كل الأفكار أصبحت قابلة لإعادة التدوير لتتحول إلى منتج رقمي يُوجَّه من كل الصفحات والقنوات والتطبيقات وهي ذوبان الشخصية الباطنية والذهنية في إطار عملية تسمى بمسرحة المشهد العام.

إن فكرة قابلية الاستعراض لكل شيء وتحت أي ظروف، تعتبر الحقيقة الواقعة في بناء النسق الاجتماعي للبيئة الرقمية، هناك عملية "مَسْرَحَة للحياة اليومية للإنسان. (صابر، 2024، صفحة 127)

يتزايد الاستعراض وإنتاج الأفكار الاستعراضية يوماً بعد يوم، المشهد الحالي المُتَجَسِّدُ هو فكرة "لعبة المتاهة" لطرفي العملية الاتصالية الرقمية، مُنتَجُ المشهد الاستعراضي الرقمي (Influencer) من جهة ومتابعه (Followers) من جهة أخرى، الحضور الرقمي الكمي لصنَّاع المحتوى يجعل المتفرج الغير منتج رقمياً، يعيش متاهة غير متناهية تدرج تحت حيرة: من أتابع مع تشابهِ ما يقدمونه ! ومن أتابع مع كثرتهم! بمقابل ذلك تحدث متاهة في سيناريو الاستعراض لصنَّاع المحتوى

أصبحت المكانة الاجتماعية مرتبطة بشكل وثيق بالثروة في مجتمعاتنا الاستهلاكية، مما دفع الكثيرين إلى السعي وراء الشهرة والثراء عبر الإنترنت. هذا التوجه أدى إلى انتشار ظاهرة "الابتكار" المني، حيث يتنافس المؤثرون على تقديم محتوى جديد باستمرار، بغض النظر عن جودته أو أصالته. نتيجة لذلك، أصبحنا نغرق في بحر من الأفكار المتشابهة والمكررة، مما يقلل من قيمة كل فكرة على حدة. ففي عالم حيث يعتمد التأثير على التكرار والاستمرارية، أصبح من الصعب تمييز المحتوى الأصيل والمبتكر.

4. خاتمة

يمكن اعتبار هذه التنافسية في استحداث التقنيات من أجل جذب المشاركين في الموقع أو التطبيق، تعتبر كشكل من أشكال الفلسفة العامة للرأسمال الحر، وتتخذ الرأسمالية المناخ الرقمي كنسق لنشر المبادئ التقليدية لها، فيما يخص التنافسية وإغراق الأسواق العالمية بالإنتاج- وهي القاعدة المعمول بها - من خلال التنافسية الكبيرة التي تظهر بين الشركات المالكة للشبكات أو للوسائل التي تسمح للولوج لها مثل: شركات الهواتف الذكية.

والتوجه نحو المزيد من الصناعات الرقمية، أصبح توجهاً مقصوداً ومدعوماً حتى من الدول والشركات، العالم يتجه بوتيرة سريعة نحو تطبيق أدوات الرقمنة والذكاء الاصطناعي، بكل الإتاحيات الممكنة والمتاحة، كتب عن ذلك دان شيللر في أحد مقالاته المنوطة بالبحث عن "توغل الرأسمالية الرقمية"، بأن المبادرات الاستراتيجية لتسيير الرأسمالية الرقمية، عادة ما يُروَّجُ لها بأنها تقدمية وناعمة، وذلك من خلال المساهمة والدعوة نحو تمكين عملية خصخصة واسعة النطاق ومستمرة للخدمات العامة، من مكتبات ومتاحف، قطاع الصحة و الطب، خدمات الرعاية الاجتماعية وحتى الوظائف الحكومية ذاتها، والحقيقة أنها تحمل مشاريع تتضمن دفعة رجعية قاسية، وتقوم بتجريد حتى ما تبقى من التحمل (بقايا القيم) الديمقراطي، مع هذا التوغل الجديد للرأسمالية بنكهة تكنولوجية، يظهر الولوج في مجال الخصخصة للشركات العابرة للحدود، مثلما فعلت في وقت ليس ببعيد من عمليات للإنشاء والاستحواذ معاً، تؤكد تقارير جديدة بأن الشركات العابرة للحدود التي تتحكم في 30٪ من الإنتاج العالمي و 80٪ من التجارة العالمية تعيد بناء نفسها في السياق التكنولوجي. (Schiller, 2023, p. 526)

ولهذا يمكن اعتبار أن النزعة المادية سوف تستمر في إنتاجها التكنولوجية مدام الاستخدام وزيادة عدد المستخدمين في زيادة كبيرة، فإذن يمكن التأكيد على نحو تشائي لأن مظاهر التشيؤ واستلاب الأفراد سبتقى راسخة ومستمرة ما دامت أشكال المقاومة الإنسانية والثقافية تتلاشى مع الهدف الربحي و الفردانية المتوزعة على نحو متسع جدا في الأنساق الرقمية.

إنه لمن اللغظ المعرفي لأن نطرح حلولاً عملية لهكذا أمر واسع الانتشار دون التطرق لأساليب الدفع بالإنسان للاستلاب، فعلى الرغم من أن الفلسفة المادية هي نزعة عامة ولكن أشكال مقاومتها أو تبنيها تختلف من نظام اجتماعي لآخر ومن فرد لآخر، النزعة المادية في البيئات الرقمية يمكن قياسها بمدى إسهاب النظام التعليمي في تعليم المقاومة الثقافية وبمدى قوة الأمن الثقافي للنظام الاجتماعي، ويمكن إدراج أو إقحام وسائل الإعلام الوطنية في مدى تهيئتها للفرد في أن يقاوم الإغراء اللامتناهي للرأسمالية الرقمية والتي تسحب الأفراد يوماً بعد يوم بأشكال الإغراء المادية المستحدثة مثل التحديات والبعث المباشر والدفع بمقابل زيادة عدد المتابعين وزيادة كمية الاستعراض. وباعتبارنا نسق اجتماعي متشعب بقيم الدين الإسلامي والهوية العربية يمكن اعتبارهما مرجعية قوية للتصدي أو للمقاومة في كل حالات الاغتراب، الاستلاب والتشيؤ.

5. قائمة المراجع:

الكتب:

- أحمد عمرو. (2022). *ما بعد الإنسانية، العوالم الافتراضية وأثرها على الإنسان*. تقرير استراتيجي عن مركز البحوث والدراسات.
- آرمان، ميشال ماتلار. (2005). *تاريخ نظريات الاتصال*. (لعياضي نصر الدين، المترجمون) لبنان: المنظمة العربية للترجمة.
- أكسل هونيت. (2015). *الصراع من أجل الاعتراف*. (جورج قنورة، المترجمون) لبنان: المكتبة الشرقية للنشر.
- انطونيو نيغري. (2002). *الإمبراطورية. السعودية: دار العبيكان*.
- حسن الكحلاني. (2004). *الفردانية في الفكر الفلسفي المعاصر (الإصدار 1)*. مصر: مكتبة مدبولي للنشر.
- فؤاد مرسى. (1990). *الرأسمالية تجدد نفسها. الكويت: عالم المعرفة*.
- لامية صابر. (2024). *الهجرة الرقمية للهويات وتداعيات نزوح الثقافات نحو الافتراضي*. الجزائر: دار جودة للنشر.
- محمد علي فرح. (2014). *صناعة الواقع الإعلام وضبط المجتمع، أفكار حول السلطة والجمهور والوعي والواقع*. بيروت، لبنان: مركز نماء للبحوث والدراسات.
- نعوم تشومسكي. (2017). *من يحكم العالم*. (فواز زعرور، المترجمون) لبنان: دار الكتاب العربي.

Marcuse, H. (2002). *One- Dimensional Man* (éd. 01). london: Routledge.

Marx, K. (1996). *Capital A Critique of Political Economy*. (H. K. Zodiac, Trad.)

Marxists Internet Archieve .

المقال:

- سلمان فوضيل البودور، وصبي رافت الريماوي. (2021). *تجليات الاغتراب و التثيؤ في الفضاء الافتراضي*. *المجلة الأردنية* ، 14 (1).

Graham, R. (2017). Google and advertising: digital capitalism in the context of Post-Fordism, the reification of language, and the rise of fake news. *palgrave communications journal, Humanities and Social Sciences Communications* .

Schiller, D. (2023). Digital capitalism in the 2020s: Dividing the world. *Etkileşim journal* .

Mcnamee, R. (2019). *Big Tech's Will to Power*. Récupéré sur <https://www.project-syndicate.org/magazine/big-tech-takeover-of-government-by-roger-mcnamee>.

soax: تم الاسترداد من *How many people use the internet in 2024* (2024).
<https://soax.com/research/how-many-people-use-the-internet>